

شعر الخمریات فی دیوان المعتمد بن عبّاد الأندلسی "دراسة تحليلية وصفية"

ناجية سليمان إبراهيم سليمان

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد- جامعة بنغازي- ليبيا

00218913766193

drnajeeha123@gmail.com

المستخلص:

یدرس هذا البحث الموسوم بـ (شعر الخمریات فی دیوان المعتمد بن عبّاد الأندلسی- "دراسة تحليلية وصفية) فنّ (الخَمْرِيَّات) بصفته فنّاً شعريّاً له حضوره في الشعر العربي في العصر الأندلسي، وقد عرض هذا البحث -بعناية- الصورة الخاصة لهذا الغرض الشعري، ومدى توافر شواهدا في شعر المعتمد بن عبّاد، معتمداً المنهج التحليلي الوصفي. وتوصل في نهايته إلى نتيجة دعمتها الشواهد الشعرية، وكان مفادها: أنّ فنّ (الخَمْرِيَّات) بصفته غرضاً شعريّاً له حضوره ومقوماته الفنية في شعر المعتمد بن عبّاد، وأنّه شابه شعراء كُثُر ممن تناولوا قبله هذا الغرض في أغلب مقومات شعر (الخَمْرِيَّات)، واستطاع أن ينقل خصائص هذا الغرض بما يتوافق وطبيعة مجتمعه الذي عاش فيه، ويوصي البحث بأن تكون هذه الدراسة فاتحة لاستكمال دراسة ديوان هذا الشاعر دراسة علمية، والوقوف على الجوانب الفنية الشعرية الأخرى التي توافر عليها محتواه، وإبرازها للدارسين.

الكلمات المفتاحية: الخمریات- الشعر الأندلسي- المعتمد بن عباد

Abstract:

This research paper entitled "Wine Songs in the Andalusian Poetry: An Applied Study on the Poetry Collection of al-Mu'tamidibnAbbad, King of Seville" deals with the poetic theme of wine as a poetic genre that had its presence during the Andalusian age. It presents the special image of this poetic theme and the availability of its evidence in the poetry of ibnAbbad. One of the findings of this research is that wine poetry as a poetic theme has its presence and artistic elements in ibnAbbad's poems. Another finding is that it similarly has all the features of previous poetry that dealt with this theme. A third finding is that ibnAbbad could transmit this poetic genre with all its characteristics and could make it in accordance with the nature of the society he lived in. The study recommends that this research can be considered as an introduction that may lead to a complete academic study of this poetry collection to explore its other poetic aspects.

Keywords: Khmeriyat - Andalusian poetry - al-Mu'tamidibnAbbad.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فهذا البحث الموسوم بـ(شعر الخمریات في ديوان المعتمد بن عبّاد الأندلسي- "دراسة تحليلية وصفية")، يتناول في مضمونه الغرض الشعري (الخَمْرِيَّات) بصفته فنّاً شعريّاً له حضوره في الشعر العربي عامة، والشعر الأندلسي خاصة، متكلّماً على ما ورد في ثنايا ديوان المعتمد بن عبّاد، من نماذج شعريّة، أظهرت ما يمكن أن يطلق عليه مقومات هذا الفن الشعري، من ذكر ما يتعلق بـ(الخمر) ذاتها، اسماً ووصفاً، و(آنية الخمر)، وما يتعلق بذكر مادتها التي صنعت منها، وألوانها، وأشكالها، و(مجالس الخمر) وما يدور فيها من مظاهر التعامل بين الندماء، والسقاة، وما يصدر حينها من سلوكيات، يقود إليها ما يترتب على هكذا مجالس، ولا سيما أنها تقام في بيئة ملكية، كما هو الحال عند الشاعر الملك المعتمد بن عبّاد، الذي أدار دولة لها حضورها في التاريخ الأندلسي، وانعكس ذلك على نتاجه الشعري في هذا الغرض الشعري خاصة.

يحاول هذا البحث التأكيد على أنّ الشعر العربي في إطاره العام يلتقي شعراؤه في كثير من الأغراض الشعريّة، وإن كانت قد تختلف أحياناً في مضمونها -بحكم البيئة التي نشأ فيها هذا الشاعر أوذاك- فالإنسان يظل ابن بيئته سواء أكان عامياً أم ملكاً متوجاً، وهذا ما يسيطر على أجواء هذا البحث الذي تدور أحداثه في مجالس تسيطر عليها أئمة الحكم، وصورة التعامل الرأقي في اختيار الألفاظ والتراكيب الشعريّة، التي تنقل لنا - بكلّ صدق- واقع الحياة التي عاشها الشاعر، الذي تدور حول شعره مضامين هذا البحث.

إنّ هذا البحث يحاول الكشف عن عالم يستحق الدراسة في الأدب الأندلسي، ألا وهو الدراسات التي تتناول الأغراض الشعريّة لدى الشعراء الأندلسيين في إطارهم الخاص. والذي يُقصد به ههنا هو ما أثير عنهم من نتاج شعري، ولا سيما أولئك الذين حظيت أشعارهم بالجمع والتدوين والتحقيق، كما هو الحال مع شعر الشاعر موضوع البحث _المعتمد بن عبّاد_؛ وليكون ذلك فتحاً لبوابة البحث لمن يرغبون في خوض غمار البحث في عوالم الشعر الأندلسي بصورة خاصة، أو أي عصر شعري آخر في إطار الشعر العربي العام. فإن وفق البحث في تحقيق ذلك، فذلك توفيق من الله، وإن كان غير ذلك، فأسأل الله الهداية إلى الصواب وهو الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

هدف البحث: يسعى هذا البحث إلى محاولة الكشف عن حضور غرض (شعر الخَمْرِيَّات) في الشعر الأندلسي عامة، من خلال ديوان المعتمد بن عبّاد، ومدى توافر مقومات هذا الغرض في شعره بصورة خاصة.

أسئلة البحث: يحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال رئيس مفاده:

- هل ل (شعر الخَمْرِيَّات) حضور في ديوان المعتمد بن عبّاد؟
- وقد تفرع من هذا السؤال الرئيس أسئلة أخرى، وهي على النحو الآتي:
- ماذا نعني ب(شعر الخَمْرِيَّات)؟
- هل (شعر الخَمْرِيَّات) خاص بعصر أدبي ما، أم إنّ له جذورا تمتد في أكثر من عصر أدبي؟
- هل لشعر الخَمْرِيَّات حضورٌ فنيٌّ في ديوان المعتمد بن عبّاد؟
- ما أهم مواضيع (شعر الخَمْرِيَّات) الواردة في ديوان المعتمد بن عبّاد؟
- حدود البحث: يتناول هذا البحث - في مجاله التطبيقي-ديوان المعتمد بن عبّاد_ ملك إشبيلية_ بتحقيق الدكتور/ حامد عبد المجيد، والدكتور/ أحمد أحمد البدوي، ومراجعة الدكتور/ طه حسين، وذلك في طبعته الثالثة المحققة، والمنقحة، للعام (2000م)، عن _مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة؛ إذ قد صدرت له طبعتان أخريان، إحداهما: الطبعة الأولى عام 1951م _المطبعة الأميرية بالقاهرة_، والأخرى صدرت عام 1997م _مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة_ لذات المحققين.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج (الوصفي التحليلي) ليكون الأداة المناسبة لربط أفكار البحث، وخلق تسلسل منطقي - قدر المستطاع- لجملة الأفكار التي حوتها عناوين المباحث والمطالب التي توزع عليها، مع الاستعانة ب(المنهج الاستقرائي) للوقوف على النماذج الشعرية التي توافرت على غرض (شعر الخَمْرِيَّات) في ديوان المعتمد بن عبّاد.

منهجية البحث:

- (1) الاعتماد على الديوان المشار إليه في حدود البحث، وذلك عند الاستشهاد على مضامين البحث فيما يخص غرض (شعر الخَمْرِيَّات) عند الشاعر المعتمد بن عبّاد موضوع البحث.
 - (2) تخرّيج كل ما يحتاج إلى تخرّيج، سواء أكان آيات، أم كانت أحاديث نبوية، أم أبياتاً شعرية.
 - (3) الإحالة على المصادر الرئيسية، وأخذ المعلومات من مظانها المعتمدة، كلّ في بابه.
 - (4) الاكتفاء ابتداء بذكر المصدر مع الجزء والصفحة، أو المصدر والصفحة في الهامش، على أن تذكر بياناتها كاملة في نهاية البحث؛ وذلك تخفيفاً للهامش، وبعدا عن التكرار.
- خطة البحث: توزعت خطة البحث على:

مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: الخَمْرِيَّات المصطلح والأثر الشعري، وتوزع على مطلبين:

- المطلب الأول: (شعر الخَمْرِيَّات) مفهومه، وأولية الظهور.

- **المطلب الثاني: التعريف بالشاعر المعتمد بن عبّاد.**
- **المبحث الثاني: شعر الخمریات في ديوان المعتمد بن عبّاد الأندلسي، وفيه ثلاثة مطالب:**
 - **المطلب الأول: وصف الخمر ذاتها.**
 - **المطلب الثاني: وصف أنية الخمر والسقاة.**
 - **المطلب الثالث: وصف مجلس الخمر.**
 - **خاتمة البحث، وفيها:**
 - نتائج البحث.
 - توصيات البحث.
 - **المصادر والمراجع.**
- **المبحث الأول: الخَمْرِيَّات المفهوم والأثر الشعري:**
 - وفيه مطلبان:
 - **المطلب الأول: (شعر الخَمْرِيَّات) أصل التسمية، ومفهومها الشعري، وأولية الظهور.**

أولاً: أصل تسمية (الخَمْرِيَّات):

إنَّ أصل التسمية جاء من (الخَمْرَة)، وقيل في تعريف الخَمْرَة: " كل ما أسكر من عصير كلِّ شيء؛ لأنَّ المدار على السكر وغيوبه العقل " (1)، وأمّا سبب تسميتها بهذا الاسم: الخمر، فقد ورد في ذلك جملة من الأقوال على النحو الآتي (2):
 - **القول الأول: أنّها سميت خمرًا؛ لأنّها تخامر العقل، أي تخالطه. قال الشاعر (3):**

فَخَامَرَ القَلْبَ من تَرْجِيعِ ذِكْرِهَا رَسٌّ لَطِيفٌ وَرَهْنٌ مِنْكَ مَكْبُولٌ
 - **القول الثاني: أنّها سميت خمرًا، لأنّها تخمّر العقل، أي تستره. من قولهم: قد خمّرت المرأة رأسها بالخمر: إذا غطّته (4). ويقال للحصير الذي يُسجّد عليه: خُمْرَة؛ لأنه يستر الأرض، وبقيّة الوجه من التراب. قالت عائشة: (كنت أناول النبيّ الخُمْرَة وأنا حائضٌ) (5).**
 - **القول الثالث: أنّها سميت خمرًا، لأنّها تركت حتى أدركت، واختمرت، واختمارها تغيير رائحتها. قال: " اختَمَرَ الخَمْرُ أي: أدرك " (6).**

1- تاج العروس، مادة (خمر).

2- الزاهر في معاني كلمات الناس (1 / 436).

3- البيت للشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب. ينظر: شعر عبدة بن الطبيب، تحقيق: يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، 1971، ص58.

4- المزهر للسيوطي (1/ 60-63)، والمخصص لابن سيده (11/ 74).

5- الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَأْوِلِينِي الخُمْرَةَ مِنَ المَسْجِدِ»، قَالَتْ فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، قَالَ: «إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي بَيْتِكَ». صحيح مسلم (1 / 244).

أما الخمر في الاصطلاح: ونعني بالاصطلاح ههنا ما يترتب عليها من أثر على شارها، وما يتوجب عليه من حكم في الشرائع والقوانين، فقد عرفت بأنها: "تَطْلُقُ عَلَيَّ مَا يُسْكِرُ قَلِيلُهُ أَوْ كَثِيرُهُ، سَوَاءٌ أُتْخَذَ مِنَ الْعَنْبِ أَوْ التَّمْرِ أَوْ الْجِنِّطَةِ أَوْ الشَّعِيرِ أَوْ غَيْرِهَا. وَاسْتَدْتُوا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ"⁽⁷⁾.

والخمریات:

فنُّ أدبي، يتضمَّن قصائد تصف عالم شرب الخمر، فتذكر أوصافها، وأوانها التي توضع فيها، ووصف تأثير الخمرة في النفس، ودخولها إلى مفاصل الجسد، وما تسببه من حالة انتشاء لمحتسما، وما يحدث في جلسات شربها من تسلية وطرائف⁽⁸⁾.

ثانياً/ (الخَمْرِيَّات) في المفهوم الشعري:

إنَّ الخَمْرِيَّات مصطلح يطلقه دارسو الأدب على الأشعار التي تتناول عالم الشراب، بادئين في ذلك بذكر الخمرة ذاتها ذاكين أسماءها، وواصفين ألوانها، وأشكالها، وذاكرين أصولها التي جاءت منها، ويتعدى ذلك تناول وصف أوانها وأشكال هذه الأواني، وما صنعت منه، ويتجاوزون ذلك كله إلى وصف مجالسها، وما يحدث فيها من طرائف، ولطائف، وطقوس، وشعائر، وقد يتجاوز الشاعر في خَمْرِيَّاته الحديث عن الطقوس الخارجية إلى الغوص في أعماق النفس، والحديث عن أثرها في نفس شارها، وجسده، فيصف ما يحصل له من نشوة نفسية أو راحة جسدية، وما يظهر له من خيالات⁽⁹⁾.

وحينا قد يتعدى الحديث في مجال (شعر الخَمْرِيَّات) إلى مواقف يكون فيها الشاعر -أصلاً - ممن يشربون الخمر أو حتى يخطر ببالهم ذلك، وإنما يكون وروده على ألسنتهم بسبب استدعاء الحالة الشعرية لذكر (الخمرة) في وصف المحبوب أو حتى تشبيهه ببعض صفاتها؛ لما يترك المحبوب في نفس المحب من أثر لا يكاد يختلف بطبيعة الحلقة البشرية عما يتحدث عنه الشارب عند وصفه الحقيقي للخمرة، فكان وصفهم عَرَضاً غير مقصود لوصف الخمرة كمادة موجودة محببة، وإنما لاستدعاء الموقف الشعري لها⁽¹⁰⁾.

وقد يروناها أحياناً محبوبة لهم، أدمنوا عليها، وفراقها يؤذيهم، ويجعلهم يشعرون بنقص شيء أساسي في حياتهم.

6 - ينظر: كتاب العين (262/4).

7- الموسوعة الفقهية الكويتية (5 / 12)، والحديث في: صحيح البخاري (5 / 162)، برقم (4343) وهو بلفظ "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"، أما: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ". فينظر: ابن عبد البر (ت 463)، 47 / 1 / 202.

8 - ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ص 256_258).

9- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ص 256_258).

10- ينظر: أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1960م، دت، (ص 24).

ثالثاً/ أوليّة ظهور (شعر الخمرّيات) في الشعر العربي:

إنّ ظهور شعر الخمرّيات في الشعر العربي تمتد جذوره إلى العصر الجاهلي؛ فقد كان الشاعر الجاهلي يرى في محبوبته مدعاة إلى قول الشعر ونسج الأخيصة؛ وكانت (الخمر) على ذات النسق، الذي يستدعيه إلى الخوض في النسج الشعري والحديث عمّا يدور في النفس عندما تثور ثائرة النشوة الخمرية في عقل الشاعر، فهذا الشاعر طرفة بن العبد يخاطب لائمه على شرب الخمر قائلاً⁽¹¹⁾:

ولولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ لَدَّةِ الْفَتَى وَجَدِكَ لَمْ أَحَقَلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي
فَمَنْهِنَّ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةِ كُْمِيَّتِ مَتَى مَا تَعَلَّ بِالْمَاءِ تَرْبِيْدِ
وَكِرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافَ مُحْنَباً كَسِيْدَ الْغَضَا نَهْتَهُ الْمَتَوْرِدِ
وَتَقْصِيْرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجَبٌ بِيَهْكَنَةِ تَحْتَ الْخِبَاءِ الْمُعْمَدِ

بل إن هذه العلاقة بين المجتمع الجاهلي والخمر تجاوزت حدّاً لا يمكن القول عنه إلا إنه قد صارت علاقة وجودية مرتبطة بالمكانة الاجتماعية؛ فكان الكريم في قومه الذي يسقيهم الخمر ويطربهم، كيف لا وهي شراب الغني والفقير، وعلية القوم والعامّة، بل وصل الحال ببعضهم إلى أن نقطع للخمر وصفاً وشراباً، والهيام بها وفيها كما هو الحال عند الأعشى، الذي اختصر لنا العلاقة الوثيقة بالخمر حين قال⁽¹²⁾:

وكأسٍ شربتُ على لَدَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

ولما جاء الإسلام كانت الخمر إلى عهد معروف مباحة، يشربها المسلم دون حرج حتى ظهر أثرها غير المحمود على العبادة والتعامل بين المسلمين بعضهم بعضاً؛ لما ظهر من ضررها الذي لا ينكر على عقل المسلم، وإتلافه لماله وجسده، فتدرج الإسلام في تحريمها، حتى جاء الأمر الصريح بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فامتلات طرق المدينة بالدنان التي تم التخلص منها في التزام لا يقبل المكابرة والتردد.

واستمر الحال على التشديد في أمر الخمر وأحكامها، مع أن بعض المسلمين ظل يشربها إدماناً في عهده صلى الله عليه وسلم، وكذا كان حال من جاء بعده من الخلفاء الراشدين، وكانت تقام الحدود التي شرعها الشارع سبحانه على كلّ مَنْ يثبت عليه شرب الخمر.

ولما جاءت العصور التالية لعهد الخلافة الراشدة، وانفتح المسلمون من الجزيرة العربية على بقية الحضارات الوافدة إلى حظيرة الإسلام، إمّا اتباعاً عن قناعة أو دخولا في ذمة الإسلام مع دفع الجزية، مقابل حماية أنفسهم ودياناتهم؛ ظهرت في المجتمع طائفة من المسلمين الذين

11-حيوان طرفة بن العبد ص (33و34)، ورواية الديوان: (ولولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى)، و(بِيَهْكَنَةِ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمُعْمَدِ).
12-ديوان الأعشى ص(173).

جعلوا من (الخمر) مظهراً من مظاهر الحياة الجديدة التي فرضها هذا الواقع الجديد، كما هو الحال في العصر الأموي، الذي يطالعنا فيه الأخطل ذلك الشاعر الذي تعلق بمسيحيته ليظل على علاقته الوطيدة مع الخمر، لنسمعه وهو يقول بين يدي أمير ذلك الزمان الذي عاش فيه⁽¹³⁾:

شَرِبْنَا فَمِتْنَا مِيتَةً جَاهِلِيَةً مَضَى أَهْلُهَا لَمْ يَعْرِفُوا: مَا مُحَمَّدٌ؟
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَلَمَّا تَنَمَّيْتُ حَشَّاشَاتُ أَنْفَاسٍ أَتْتَنَا تَرَدُّدٌ
حَيِينَا حَيَاةً لَمْ تَكُنْ مِنْ قِيَامَةٍ عَلَيْنَا وَلَا حَشْرٍ أَتَانَا مَوْعِدٌ

إلى أن يقول:

تَفُوحُ بَمَاءٍ يُشْبِهُ الطَّيِّبِ طَيْبُهُ إِذَا مَا تَعَاطَتْ كَأَسْهَاءِ مِنْ يَدٍ يَدٌ
تُمِيْتُ وَتُحِي بَعْدَ مَوْتٍ وَمَوْتِهَا لَدِيدٌ وَمُحْيَاهَا أَلَدٌّ وَأَمَجَدٌ

وما حصل في العصور التالية لهذا العصر فإنه لا يكاد يختلف عنه؛ فقد صارت (الخمر) حاضرة في مجالس الأمراء، والوزراء، والأغنياء، وكذا العامة من الناس من كل الطوائف والأجناس، فكان لها المجالس التي ينتظم فيها الشرب، والمعتنون بصناعتها، وتجهيز ما تحتاجه من أدوات سواء أكانت مادية أم بشرية، وصارت المجاهرة بذلك سمة لا ينكر وجودها حتى وصل الأمر إلى أن يقول ابن الرومي⁽¹⁴⁾:

أَبَاحُ (العراقي⁽¹⁵⁾) التَّيْبَدُ وَشَرِبَهُ وَقَالَ: حَرَامَانِ الْمُدَامَةُ وَالسَّكْرُ
وَقَالَ (الحجازي⁽¹⁶⁾): الشَّرَابَانِ وَاحِدٌ فَحَلَّتْ لَنَا بَيْنَ اخْتِلَافِهِمَا الْخَمْرُ
سَأَخُذُ مِنْ قَوْلِهِمَا طَرَفَيْهِمَا وَأَشْرِبُهَا لَا فَارِقَ الْوَاوَزَ الْوَزْرُ

لتصل ذروة العلاقة الشعرية بين الشعراء والخمر معاقرة وتغنيا في عهد أبي نواس الشاعر الذي بلغ مبلغه في هذا الفن الشعري؛ حتى إنه لا يكاد يُذكر فن (شعر الخمريات) إلا وكان اسمه الحاضر إلى الأذهان، فإن كان عنتره يقول _ وهو ذلك العبد المنبوذ من أبيه وقبيلته رغم فروسيته وشجاعته⁽¹⁷⁾:

وَإِذَا سَكْرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَافْرُلَّمْ يُثْلَمُ
وَإِذَا صَحَّوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرُمِي

فإن أبا نواس بلغ غاية المبالغة والمجاهرة غير المنطقية في حب الخمر والتغني بها حين قال⁽¹⁸⁾:

13-ديوان الأخطل ص(478).

14-ديوان ابن الرومي (61/2).

15- يعني به: الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

16- يعني به: الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

17-ديوان عنتره ص(206و207).

18-ديوان أبي نواس ص(274).

وجاءَ بها زَيْتِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا

ليبلغ في عصره فن (الخَمْرِيَّات) ما يمكن أن يقال عنه: ذروة النضج الفني ل(شعر الخَمْرِيَّات) بصفته غرضًا شعريًّا يقف جنباً إلى جنب مع الأغراض الشعرية التي يتم تناولها في الشعر العربي، وتفرض حضورها في الدرس النقدي الشعري.

المطلب الثاني: التعريف بالشاعر المعتمد بن عبّاد

أولاً/ اسمه، ومولده:

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عبّاد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم، اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة⁽¹⁹⁾، كانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجة من بلاد الأندلس⁽²⁰⁾.

ثانياً/ نشأته:

نشأ المعتمد بن عبّاد في أسرة كريمة، الملك بيتها، والشجاعة صيتها، والأدب والعلم لا يغيب عنها؛ فجدُّه الظافر المؤيد بالله أبو القاسم محمد كان قبل الملك قاضياً له مكانته⁽²¹⁾، ووالده كان ملكاً بعد أبيه، ولذا نشأ المعتمد بن عبّاد في بيئة تعني أئماً عناية بأبنائها؛ ليكونوا امتداداً للملك الذي آتاهم الله مقاليد، وفق سننه التي تجري على الأمم من استخلاف بعضهم على بعض، وعليه يمكن تناول حياة شاعرنا المعتمد بن عبّاد على جانبين لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وذلك على النحو الآتي:

الجانب الأول/ المعتمد بن عبّاد (الملك):

نشأ المعتمد بن عبّاد في أسرة كريمة، فهو ينتهي إلى بني عبّاد، وهم أمراء إشبيلية، وأهل حنكة سياسية ودهاء، ساسوا البلاد التي حكموها بسياستهم الخاصة في غمار تلك الأحداث التي أملت بالعصر الذي وُجدوا فيه، واستطاعوا توسيع سلطانهم، حتى غدت إشبيلية أقوى الإمارات الأندلسية⁽²²⁾.

تسلّم الملك من بعد أبيه الذي توفي يوم الإثنين غرة جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة، ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية رحمه الله تعالى، وهو -كما نقل عنه المؤرخون- كان من "أندى ملوك الأندلس راحة، وأرحيم ساحة، وأعظمهم ثماداً، وأرفعهم عماداً، ولذلك كانت

19- ينظر: وفيات الأعيان (5 / 21).

20- ينظر: المصدر السابق (5 / 37).

21- ينظر: المصدر السابق (5 / 21).

22- ينظر: مقدمة ديوان المعتمد بن عبّاد (ص 1 وما بعدها).

حضرته ملقى الرحال، وموسم الشعراء، وقبله الآمال ومألف الفضلاء، حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه، وتشتمل عليه حاشيتا جنباه⁽²³⁾.

الجانب الآخر/ المعتمد بن عبّاد(الشاعر):

نبغ المعتمد بن عبّاد في الشعر منذ صغره، وقد تنبه أبوه إلى هذه الموهبة، فرعاها، ونماها فيه، ولذا فإنه لم يكن ممن يتكسبون بشعرهم؛ لأنه ولد في بيئة ثرية، ولم يكن في حاجة إلى ادعاء الإحساس الشعري؛ لأنّه كان في موقع يؤهله ليقول ما يشاء، مستندا إلى ما يعيشه من أهبة الملك، بل إنه أحبّ الشعر وأكثر منه، وهذا ما يلمسه المتأمل في ديوانه، وقد طرقت في شعره أغلب الأغراض الشعرية التي دعت المواقف إلى قولها، وكان مجيدا فيها، مؤثرا بإحساسه في الآخرين، وهذا ما يجعله أهلا للدراسة الفنية والتناول من قبل الباحثين⁽²⁴⁾.

يتصف شعر المعتمد بن عبّاد بالوضوح، الذي يدل على وضوح التجربة لديه، بل إنّ المطلع على تجربته يلمس خلو شعره من الغموض والالتواء، بل إنّ رسالته إلى المتلقي تنساب بكل سهولة، وموسيقاه جاءت متناسبة مع الانفعالات التي صاحبت تجربته الشعرية⁽²⁵⁾، فقد قيل عنه: "للمعتمد بن عبّاد شعر كما انشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة، لكان رائقاً معجباً ونادراً مستغرباً"⁽²⁶⁾.

ولعل ذلك يعود إلى أنّ أغلب ما ورد في ديوانه مقطعات تحوي كلّ واحدة منها تجربة خاصة منفصلة عن التي قبلها، استدعتها الحالة الشعورية التي مر بها ال المعتمد بن عبّاد.

ثالثاً/ وفاة الشاعر الملك المعتمد بن عبّاد:

توفي المعتمد بن عبّاد في السّجن بمدينة (أغمات) لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى؛ ومن النادر الغريب أنّه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب، بعد عظم سلطانه وجلالة شأنه، فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء. واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذي كانوا يقصدونه بالمدائح، ويُجزل لهم المناجح، فرثوه بقصائد مطولات، وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه⁽²⁷⁾.

المبحث الثاني: شعر الخمریات في ديوان المعتمد بن عبّاد الأندلسي

إنّ الحديث عن الخمریّات في الشعر العربي في إطاره العام، وفي إطار الشعر الأندلسي خاصة، الذي يمثله -في هذا البحث- شعر المعتمد بن عبّاد، يستوجب علينا أن نقف على العوامل التي

23- وفيات الأعيان (5 / 24).

24- ينظر: مقدمة ديوان المعتمد بن عباد (ص 30).

25- ينظر: مقدمة ديوان المعتمد بن عباد (ص 30).

26- وفيات الأعيان (5 / 25).

27- المصدر السابق (5 / 37).

تساعد في تكون الصورة المتكاملة لغرض (شعر الخمرّيات)، وهذه العوامل هي في الأصل المكونات الرئيسة لمجلس الخمر في حقيقته الواقعية، وهي (الخمر، والساق، والمجلس)⁽²⁸⁾. إنَّ ثقافة مجالس الشراب التي بدأت تتشكل في العصر الأموي جعلت لنفسها ما يمكن القول عنه طقوساً، بوجودها تكتمل لذّة التقاء الندماء، ابتداء من نوعية الخمر المقدمة، و مستوى تقديمها من حيث العناية بنوعية السقاة الذين يقومون بهذا العمل، وهم في أبهى الحلل، والجمال الذي يضيف مزيداً من اللذة على الشاربين، واكتمال الصورة بتهيئة مجلس الشراب، ومن يحضره، إذ يظهر المجلس وهو في غاية التهيئة والترتيب، محتويّاً على أكمل ما يمكن التوافر عليه في ذلك العصر من أسباب الراحة، والعناية بالمناظر التي تحيط به، والروائح التي تعطر جوّه، وأنواع الطعام الفاخر الذي يتم تقديمه، بل قد يضاف إلى ذلك الغناء والرقص، وكل المظاهر الراقية التي تتناسب والحالة الاجتماعية لذوي المكانة المرموقة الحاضرين في مثل هذه المجالس⁽²⁹⁾.

لعلّ المتأمل في حال شعر المعتمد بن عبّاد يكاد يجزم أنه امتلك كلّ العوامل التي تجعله في مرتبة تؤهله لامتلاك القدرة على توفير هكذا أجواء لندمائه، لما كانت عليه حياته المترفة، وبيئته التي وفرت له كلّ عناصر الملذّة التي استطاع الحصول عليها؛ لأنّه من أسرة مالكة، لها الحضوة من موارد المملكة التي تحكمها، بل كان هو الملك المتوج عليها في فترة من الفترات، وكذا ما ساعده حينها من طبيعة المجتمع من حوله؛ فقد اعتاد الناس على مثل هكذا مظاهر، ولعلّ المتأمل بعين الباحث البصيرة سيجد أن الشاعر قد تناول في ديوانه مكونات المجلس الخمري، وكلّ ما تحققت فيه من الطقوس التي تحدث عنها شعراء هذا الفن الشعري _شعر الخمرّيات_ من حيث ذكر (الشراب _الخمر_)، و(الساق)، و(المجلس) وما فيه.

المطلب الأول: وصف الخمر ذاتها، من خلال ديوان المعتمد بن عبّاد.

إن وصف الخمر غرض قديم اشتغل به الشعراء المتقدمون والمتأخرون على حد سواء، بل إن بعضهم يكاد ينقطع لها في شعره، كما هو الحال عند الأعشى ميمون بن قيس، الذي لا تخلو قصائده من ذكرها أو الإشارة إليها⁽³⁰⁾ بل إنهم اعتنوا بكلّ دقائقها وصفاً وملاحظة، فنجد أبا نواس يقول⁽³¹⁾:

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُثْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

28- مجالس الخمر في الشعر الأموي (ص7).

29- مجالس الخمر في الشعر الأموي ، ص7، وص107 وما بعدها).

30- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم (ص: 114).

31- ديوان أبي نواس (ص243).

هذه الملاحظة الدقيقة حتى لما يعلوها من انتفاخات تعلقو الخمر، وتشبيهها بالحصى المتناثر على أرض مُذهّبة اللون، مُصفرة الزّمال، ليكشف عن إحساس في غاية الرهافة ممن يتخيل أنهم في حال الشرب قد فقدوا عقولهم!
بل إنّ من جيد التشبيه وغريبه الموجز غاية الإيجاز في وصف الخمر ما قاله أبو نواس في صفة الخمر⁽³²⁾:

وإذا علّاه الماء ألبسها حَبَباً شَبِيهَ خَلَاخِلِ الْجِجَلِ
حتى إذا سكنت جوامحها كُتِبَتْ بِمِثْلِ أَكَارِعِ التَّمْلِ

بل إنهم بَوَّبُوا لها في مؤلفاتهم فقالوا: "في ذكر الشراب وما يجري معه من رقيق المعاني"⁽³³⁾.
(الخمر) الشراب في شعر ابن عبّاد:

إن المتأمل في ديوان المعتمد بن عبّاد يجد أنّه لم يغفل ذكر (الخمر) في ثنايا ديوانه، فذكر أسماءها، وألوانها، وشكلها في الإناء، وأثرها في الشارب، وذلك على النحو الآتي:
أولاً/ أسماء الخمر في شعر المعتمد بن عبّاد:

- ذكر (الخمر) باسمها الصريح:

يقال: "اخْتَمَرَ الخَمْرُ أي: أدرك، ومُخَمَّرُها متخذها، ومُخَمَّرُها: ما غَشِيَ الخُمُورَ من الخُمَارِ والسكر⁽³⁴⁾، قال⁽³⁵⁾:

"فلم تَكْدُ تَنْجَلِي عن قلبه الخَمْرُ".

فقد ذكرها المعتمد بن عبّاد مصرحاً باسمها في مواضع هي:

هَذِهِ الخَمْرُ تَبْتَغِيكَ فَخُذْهَا أَوْ قَدِّعْهَا، أَوْ كَيْفَمَا شِئْتَ كُنَّا⁽³⁶⁾

وقوله:

أَنَا فِي عَذَابٍ مِنْ فِرَاقِكُ نَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ اسْتِيَاقِكُ⁽³⁷⁾

فهو ههنا- إضافة إلى ذكره اسم الخمر وتصريحه به-، فقد ذكر الأثر الذي يترتب على تناولها؛ وهو النشوة، كما هو ظاهر في قوله: (نشوان من خمر)، وفي هذا إشارة إلى أنّ الغرض من شربه الخمر التلذذ والاستمتاع بها لا غير.
ذكر (الخمر) بأسماء اشتهرت بها:

32- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق: الحوفي (1 / 47)، وديوان أبي نواس (ص 311).

33- ديوان المعاني (1 / 305).

34- كتاب العين (4 / 262)،

35- عجز بيت للأخطل، ينظر: ديوان الأخطل، تصنيف السكري، بروايتة عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق: فخر الدين قباوة، ص 144. وجاء بتمامه (لذ أصابت حمياها مقاتله) غير منسوب، في تهذيب اللغة (7 / 160)، ولسان العرب (4 / 255)، وصدرة: (لذ أصابت حمياها مقاتله).

36- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص 63).

37- ديوانه (ص 22).

● تسميتها بـ(القهوة):

سميت الخمر [قهوة] ؛ "لأنّها تُقهي الإنسان. أي: تُشبعُه، وتذهب بشهوة الطّعام"⁽³⁸⁾.

وردت تسميتها بذلك في ديوان المعتمد بن عبّاد في قوله:

خُذْ بِاسْمِهَا، مِنْ رِيْقِهَا قَهْوَةٌ فِي لَوْنِ خَدَمِهَا تُجَلِّي الْأَسَى⁽³⁹⁾

وقوله:

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً فَجَاءَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ⁽⁴⁰⁾

وكذلك قوله:

رِيْعَتْ مِنْ الْبَرْقِ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِنَ الْقَهْوَةِ لِمَا⁽⁴¹⁾

ولعلّ المتأمل في سياق هذه التسمية الذي وردت فيه، يلمس تلك الرقة المتناهية التي يظهرها هذا النوع من الخمر الذي يتناوله، ولذا صلح أن يجعله تشبيها للريق (من ريقها قهوة)، أو لتكون مشروباً يليق بمقام الشاعر الملك الذي لا يليق بمثله إلا أن يشرب كلّ صاف رائق الصفحة، نقي المحتوى، جيد الصناعة، فيكفيه حينها القليل من الطعام والشراب، وهذا يتناسب ومقام الملوك الذين لهم طرقهم الخاصة في الأكل والشرب _ أو على الأقل هذا وجه يحمل عليه السياق، وله ما يسنده من المعنى اللغوي.

● تسمية الخمر بـ(الراح):

و(الراحُ) من أسماء الخمر⁽⁴²⁾، ولعلها مشتقة من الراحة التي يجدها الشارب بعد تناوله، إياها. و(الراحُ) من الخمر في كتب اللغة: أطيبها، وهو صفوة الخمر⁽⁴³⁾؛ ولعل اختيار الشاعر لمثل هكذا أسماء يدل على العناية التي تتناسب ومقامه كشارب، أو مقامات الندماء الذين يحلون على مجلسه، فكان في دقة الاختيار ميزة تضاف إلى براعة الشاعر التي تحكي ما يمتلكه من قدرة على نقل الجانب الراقى من حياته المترفة؛ لكونه شاعرا وملكا لا يرتضي إلا الأرقى في المطعوم والمشروب.

وقد ورد ذكر هذه التسمية في قوله:

قَبِيتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنِي الْوَرْدَ مِنْ خَدِهِ⁽⁴⁴⁾

38-كتاب العين (4 / 64).

39- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص1).

40- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص8).

41- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص21).

42- ينظر على سبيل المثال: الزاهر في معاني كلمات الناس (2 / 21)،

43- ينظر: تاج العروس (25 / 333)

44- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص8).

وقوله:

وَلَقَدْ شَرِيتُ الرَّاحَ يَسْطَعُ نَوْرَهَا وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رِدَاءً⁽⁴⁵⁾

ولعل قوله: (يسطع نورها) يؤكد ما ذهب إليه من نقاء المشروب الذي يقدم له أولندمائه، فهي من صفاتها تكاد تسطع نورا، في استعارة تصريحية كاشفة عن مدى جودتها؛ ولا سيما أنّها قد تجعل ظلام الليل الذي يشرب فيه مضاء، ولا يخفى ما في ذلك من مبالغة.

تسميتها بـ(المُدَام):

تسمية الخمر بـ(المُدَام) مما ورد عن العرب، وأثبتته كتب اللغة⁽⁴⁶⁾، "وسميت (مُدَامَة)؛ لأنّه ليس شيء من الشراب يستطاع إدامة شربه غيرها"⁽⁴⁷⁾، وورد: أنّه إنما "سميت (مُدَامَة)؛ لأنها أديمت في الدنّ زماناً حتى سكنت بعدما فارت"⁽⁴⁸⁾، وقد ورد استعمال الشاعر ابن عباد لهذه التسمية في قوله:

وَبَاتَتْ تُسَقِّيَنِي المُدَامَ بِلَحْظِهَا فَمِنْ كَاسِهَا حِينًا وَحِينًا مِنَ التَّغْرِ⁽⁴⁹⁾

وقوله:

حَنِيتِ يُسَقِّيَنِي المُدَامَ بِطَرْفِهِ وَبِكَفِّهِ، وَمَتَى أَشَا غَنَانِي⁽⁵⁰⁾

وقوله:

هُوَ المُدَامَ الَّتِي أُسْلُو بِهَا فَإِذَا عَدِمْتُهَا عَبَّتْ فِي قَلْبِي الفِكْرُ⁽⁵¹⁾

إنّ الملاحظ فيما يختاره الشاعر من مسميات تدل على رقيّ المستوى الملكي، وأبهة الحياة التي يعيشها؛ إذ إن المدامة من الخمر تحتاج إلى فترة طويلة من التعتيق، وفي عرف أهل الشراب وصنعتة أنّ الخمر كلما طال زمن تعتيقها غلا ثمنها، ولكن هذا أمر لا يقف حاجزاً أمام هذا الشاعر الملك، فهو يمتلك المال الذي يستطيع به الوصول إلى ما يريد، وفي هذا كشف ضمني عن حياة البذخ التي كان يعيش في كنفها.

تسميتها بـ(العَرْضُ الرَّائِل):

من ذلك ما جاء في الشاعر ابن عباد :

وَقُلْنَا: حُدِي جَوْهَرًا تَابِتًا فَقَالَتْ: حُدُوا عَرْضًا زَائِلًا⁽⁵²⁾

45- ديوانه (ص28).

46- ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (2 / 21).

47- تهذيب اللغة (14 / 148).

48- تهذيب اللغة (14 / 148).

49- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص12).

50- ديوانه (ص62).

51- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص39).

52- ديوانه (ص25).

جاء هذا البيت في معرض الرّد على بائعة الخمر التي أخذت منهم ثمن الخمر ذهباً خالصاً، وناولتهم الشراب المطلوب، فلما قبضت الثمن، وشرب الخمر، ومصيرها إلى زوال مادة وأثر، أسماها ب(العَرَض الرّائِل)، وهذه التسمية تكشف ذلك الحضور الواعي بحقيقة الحياة وفنائها لدى هذا الشاعر، الذي يدرك حقيقة الحياة مهما تجملت لصاحبها. لم يكتف الشاعر بذكر اسمها، وإنما تعدى ذلك إلى وصف لونها، وشكلها داخل الكأس في وصف متكامل حين يقول في ذكر لونها:

فَقَالَتْ: لِمَ مَرَرْتُ وَلَمْ تُسَلِّمْ وَقَدْ رَوَيْتَ عِظَامَكَ مِنْ دِمَائِي؟⁽⁵³⁾

ولعل سائلاً يقول: أين اللون المذكور في هذا البيت؟!، فيكون الجواب الكاشف عن ذلك ما ورد في قوله على لسان الخمرة: (وَقَدْ رَوَيْتَ عِظَامَكَ مِنْ دِمَائِي؟) ف(الدماء) لونها أحمر، ومعتق الخمر يكون لونه أحمر أو من تدرجاته اللونية، وكأن الشاعر يستحضر معاركة الحقيقة في خياله عند شرب الخمر، وقيامه بالحوار معها، ولعل قيمة الاستعارة ههنا تتجلى في تشخيصها للمشروب؛ ليكون نديماً للشارب يحاوره ويجادله.

الوصف المتكامل لشكل الخمرة في الإناء:

أَجْمَلَ الشاعِر وصفها وهي في إنائها، وقد تمازجت مع ما حولها من ألوان، فقال يخاطب أحد جلسائه الذين غابوا عن مجلسه يوماً، محبباً إياه فيما لديه من الشراب:

لَوْ زُرْتَنَا لَرَأَيْتَ مَا لَمْ تَعُدْ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ خَلِيطَ ذَوْبِ العَسْجِدِ

نُطْفٌ يُجْمَلُهَا فَفَقَاعٌ مِنْهُ مَا جَمُدَتْ لِتَحْفَظَ مَا لَمْ يَجْمُدِ⁽⁵⁴⁾

إن الشاعر هنا يكاد يقترب من قول أبي نواس⁽⁵⁵⁾:

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرِّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

إنّ هذا التناص بين الشاعرين في المعنى، ولّد هذه اللوحة المتنوعة من الألوان التي رسمها الشاعر لشرابه ليحبيه لنديمه، ويغريه بزيارته لتكشف عن الأناقة التي يتمتع بها؛ فرقة الشراب (ذوب اللجين) يظهر بذلك اللون الذهبي (ذوب العسجد). ومن رقتها على سطح الكأس وصفاء المشروب تظهر على سطح المشروب في هذا الكأس المذهب فقاع صغيرة، تحكي نقاء المشروب وصفائه (نطف يجملها فقاع)، التي بدورها الفقاع لم تكن ذات وظيفة جمالية، وإنما تخزن في دواخلها رائحة المشروب التي لا يمكن حفظها في إناء، حتى إذا قربها من فمه ليشربها انبثقت منها الرائحة المختزنة هواء محبوساً، فيستلذ الشارب بكل حواسه البصرية والذوقية

53- ديوانه (ص2).

54- ديوان المعتمد بن عباد (ص11).

55- ديوان أبي نواس (ص243)

والشَّمِيَّة، ولا يخفى ما في ذلك من نفس تعبيري راق يتناسب ومقام الشاعر الملك المعتمد بن عبّاد.

المطلب الثاني: وصف (السقاة وأنية الخمر) من خلال ديوان المعتمد بن عبّاد

أولاً/ وصف الساق، وفيه:

وصف جسد الساق وكلامه:

الساق في ديوان المعتمد بن عبّاد هو ذو جسد (مُهْفَهْفٍ)، "خفيف على الأرض ليس بثقيل ولا بطيء"⁽⁵⁶⁾، و(مُهْتَصِرُ الْخَصْرِ) في تثنيه ولينه يشبه الغصن في تثنيه⁽⁵⁷⁾، و(أَهْيَفُ الْقَدِّ) أي: ضامر البطن⁽⁵⁸⁾، ذو عَنَجٍ في كلامه⁽⁵⁹⁾، طيب الرائحة المنبعثة منه ومن المجلس الذي يجول فيه، فيصيبه من طيبه ما يظهر عليه، وهو أيضاً لديه معرفة بكيفية مزج الخمر بعضها مع بعض، وما يطيبها لشاربها، فهو كالحكيم الطبيب الذي يصف الدواء، ويتقن وزن مقاديره، لتأتي بعجيب الأثر في الشارب، كما في قول المعتمد بن عبّاد:

وَرَبَّ سَاقٍ مُهْفَهْفٍ عَنَجٍ قَامَ لَيْسَقِي فَجَاءَ بِالْعَجَبِ
أَبْدَى لَنَا مِنْ لَطِيفِ حِكْمَتِهِ فِي جَامِدِ الْمَاءِ ذَائِبِ الذَّهَبِ⁽⁶⁰⁾

وقوله:

لَاخَ وَفَاحَتَ زَاوِئِحَ النَّدِّ مُهْتَصِرُ الْخَصْرِ، أَهْيَفُ الْقَدِّ
وَكَمَّ سَقَانِي وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فِي جَامِدِ الْمَاءِ ذَائِبِ الْوَرْدِ⁽⁶¹⁾

ثانياً/ وصف أنية الخمر:

يلحظ المتأمل في ديوان المعتمد بن عبّاد تركيزه على ذكر (أنية الشرب)، ولا سيما كأس الخمر دون غيرها من أنية السقاية، التي يُصَبُّ منها للشاربين، ولم ينصرف إلى غيره، وكأنه لا ينشغل إلا بما في يده، ولا يجعل للأمور الأخرى مجالاً لعنايته الشعرية، بل كأنه يحبب الاستمتاع بما هو فيه من منادمة على التنقل بين الأدوات، وفي هذا ملمح إلى أنّ غرض الخَمَرِيَّاتِ-في واقع حياته- لم يكن الأمر الذي يأخذ اهتمامه، وإنما هناك ما يشدُّ انتباهه أكثر، وهو غرض الغزل الذي

56- لسان العرب (10 / 82).

57- ينظر: تاج العروس (14 / 438).

58- ينظر: الكنز اللغوي في اللسان العربي (ص 221).

59- ينظر: معجم ديوان الأدب (2 / 440).

60- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص3).

61- ديوانه (ص7).

أشتهر به، وكذا علاقاته العائلية، وما آل إليه حاله في آخر أيامه من نكبات الدَّهر، وتغير حاله من العزِّ في القصر إلى مذلة القيد والأسر، وهوانهما⁽⁶²⁾.
أولا/الكأس:

الكأسُ يذكر ويؤنث، وهو القدرح والخمر جميعاً، وجمعها: أَكْؤُس وكؤوس⁽⁶³⁾، وقد استعملها الشاعر بالمعنيين، فهي تأتي تارة في السياق بمعنى الخمر، فيقول في ذلك:
اشْرَبِ الكَأْسِ فِي وِدَادٍ وَدَادِكُ وَتَأَنَسْ بِذِكْرِهَا فِي انْفِرَادِكُ⁽⁶⁴⁾
وتأتي تارة أخرى بمعنى الإناء الذي توضع فيه الخمر، وذكرها بصيغة الجمع حينها، واصفاً إياها بأنها مما تحبه النفوس، وتهش لها من علمهم بطبيعتها، وجمال أنيتها، وجمال من يقوم بتقديمها، فنجد الشاعر يقول:

وأُهْدِي بِأَكْؤَاسِ المَدَامِ كَوَاكِبًا إِذَا أَبْصَرْتَهَا العَيْنُ هَشَّتِ النَّفْسُ⁽⁶⁵⁾

وقوله:

أَمَّا الكؤُوسُ فَقدْ جَرَتْ بَيْنَنَا بِيَدَيْ غَزَالٍ سَاحِرِ الأَجْفَانِ⁽⁶⁶⁾

بل إنّه ليختار لضيوفه عندما يقدّم إليهم أرقى الخمر، وأن تكون في أوسع الكؤوس ليشربوا منها حتى ترتوي نشوتهم منها، وفيها إشارة ضمنية إلى أنّه رغم جودة ما يقدمه، وغلاء ثمنه، فإنّه لا يبخل على ندمائه، فيقول واصفاً سعتها:

إِلَى كؤُوسٍ لَوْ شَاءَ شَارِبَهَا يَعُومُ فِيهَا لِأُمُكَنَ مِنَ العُومِ⁽⁶⁷⁾

ولعل العجيب في ذلك أنّه استخدم الجمع عند ذكر الكأس بمعنى الإناء لتدل على الكرم والبذل، إذ الكأس لا تكون إلا مملوءة وعكسها في ذلك القدرح، التي تكون مملوءة وغير مملوءة⁽⁶⁸⁾، وكأنّه اختار الكأس دون غيرها ليرمز إلى أنّه يحرص على إكرام الضيف.

المطلب الثالث: وصف (مجلس الخمر) من خلال ديوان المعتمد بن عبّاد.

إن مجلس (الخمر) هو الصورة المتكاملة التي تجتمع فيها عناصر فن (شعر الخمرّيات)، ففيه تجتمع الآنية، والسقاة، والندماء، فإن كانت تلك العناصر على غاية الأبهة والاكتمال والتكامل الجمالي، فإنّ هذا المجلس يكون الصورة النهائية لهذا التكامل الحاصل بين هذه العناصر المكونة له، ولذا فإنّ الشاعر الملك المعتمد بن عبّاد استطاع تحقيق هذه العناصر -بما قلنا عنه سلفاً-

62-ينظر: ديوان المعتمد بن عبّاد (ص17) من مقدمة الديوان، وينظر القسم الثاني من الديوان الذي حوى عهد المحنة والسر (ص117_87).

63- ينظر: كتاب العين (5 / 393).

64- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص10)

65- ديوانه (ص19).

66- ديوان المعتمد بن عبّاد (ص62).

67- ديوانه (ص62).

68-ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص: 314).

من امتلاكه أسباب الثراء والغنى التي تؤهله؛ ليكون على أكمل صورة وأبهة، ولذا فإنه يصف مجلسه بـ:

• الأناقة:

(الأنيق) من الأشياء ما "تأنق فيه (الرجل) وعمَلَهُ بِنَيْقَةٍ"⁽⁶⁹⁾، بل إنها لفظة تطلق على كل شيء أعجبك حسنه⁽⁷⁰⁾، فالأنيق مثل:(عَجِيب) وزناً ومعنى، وهي من: تَأَنَّقَ في عمله إذا: أَحْكَمَهُ⁽⁷¹⁾، ووصف الأشياء بالأناقة مما يُؤثِّرُ عن العرب، يقول زهير:

وَفِيهِمْ مَلْهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ أَنْيَقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ⁽⁷²⁾

ولذا نجد الشاعر المعتمد بن عباد يباشر ندماءه قائلاً:

قَدْ زَارَنَا التَّرْجِسُ الدَّكِيُّ وَحَانَ مِنْ يَوْمِنَا الْعَيْشِيُّ
وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ أَنْيَقٍ وَقَدْ ظَمِئْنَا فِيهِ رِيٌّ⁽⁷³⁾

فالشاعر الملك المعتمد بن عباد استعمل هذا الوصف لمجلسه؛ ليجذب إليه الندماء، ويغريهم بالحضور.

• ما يدور في مجلس الشرب، وكيفية الاجتماع مع الندماء:

يقول الشاعر المعتمد بن عباد، وهو يتحدث عما يدور في مجلسه:

وَلَقَدْ شَرِيتُ الرَّاحَ يَسْطُغُ نُورَهَا وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رِدَاءَ
حَتَّى تَبَدَّى الْبَدْرُ فِي جَوَازِيهِ مَلِكًا تَنَاهَى بَهْجَةً وَبَهَاءَ
وَتَنَاهَضَتْ زُهُرُ النُّجُومِ يَحْفُهُ لِأَلَاؤُهَا فَاسْتَكْمِلِ الْأَلَاءَ
مَّا أَرَادَ تَرْهَأًا فِي غَرْبِهِ جَعَلَ الْمِظْلَةَ فَوْقَهُ الْجَوَازِ
وَتَرَى الْكَوَاكِبَ كَالْمَوَاكِبِ حَوْلَهُ رَفَعَتْ تُرْيَاهَا عَلَيْهِ لَوَاءَ
وَحَكَيْتُهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ مَوَاكِبٍ وَكَوَاعِبِ جَمَعَتْ سَنَاءً وَسَنَاءَ
إِنَّ نَشَرْتَ تِلْكَ الدُّرُوعَ حَنَادِسًا مَلَأَتْ لَنَا هَذِي الْكُؤُوسَ ضِيَاءَ
وَإِذَا تَعَنَّتْ هَذِهِ فِي مِزْهَرٍ لَمْ تَأُلْ تِلْكَ عَلَى التَّرِيكِ غِنَاءَ⁽⁷⁴⁾

إنَّ المتأمل في هذا النص يلمح أنَّ الشاعر أجمل كلَّ ما يدور في كواليس هذه المجالس التي يعقدها لندمائه ليشربوا فيها، ويسمروا على أحلى ما تطيب به أنفسهم في ذلك الزمان، ف(اختيار الوقت) مما لم يغب عنه وعن ندمائه:

69- مجمل اللغة لابن فارس (ص: 105).

70- ينظر: تهذيب اللغة (9 / 244).

71- ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1 / 26).

72- ديوان زهير بن أبي سلمى (ص: 66).

73- ديوان المعتمد بن عباد (ص: 64).

74- ديوانه (ص: 28)، والحنادس: جمع (حنديس): الليل شديد الظلام، ينظر: لسان العرب (6 / 58).

وَلَقَدْ شَرِينْتُ الرَّاحَ يَسْطُوعُ نُورُهَا
وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رِدَاءَ
حَتَّى تَبَدَّى الْبَدْرُ فِي جَوَازِئِهِ
مَلَكًا تَنَاهَى بِهَجَّةٍ وَبِهَاءٍ
وَتَنَاهَضَتْ زُهْرُ النُّجُومِ يَحْمُقُهُ
لَأَلَاؤُهَا فَاسْتَكْمِلِ اللَّأَلَاءَ

فاختياره لهذا الوقت أستر ما يكون له وللشاربين، وأظهر لجمال الحضور والتنادم والسمر، فالليل أخفى للقاء الأحبة، وأمتع للعين بمشاهدة النجوم والتمتع بجمال السماء. بل إنَّ الندماء والجلّاس لا يَقْرُبهم المجلس في مكان واحد؛ فهم أمام فسحة من المكان يتنقلون في جوانبه يتزهون، ويأخذون كل الراحة في ذلك:

وَتَنَاهَضَتْ زُهْرُ النُّجُومِ يَحْمُقُهُ
لَأَلَاؤُهَا فَاسْتَكْمِلِ اللَّأَلَاءَ
لَمَّا أَرَادَ تَزْرُهَا فِي غَرْبِهِ
جَعَلَ الْمِظْلَةَ فَوْقَهُ الْجَوَازِئَ
وَتَرَى الْكَوَاكِبَ كَالْمَوَاكِبِ حَوْلَهُ
رَفَعَتْ تُرْنَاهَا عَلَيْهِ لِيَوَاءَ
وَحَكَيْتُهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ مَوَاكِبِ
وَكَوَاعِبِ جَمَعَتْ سَنَاءً وَسَنَاءَ

فكما أنَّ القمر في السماء يتنقل بين النجوم فإنَّ هذا المشهد يتكرر في الأرض في أروقة المجلس الذي جمع نداءه، فهم يتجولون بين أسباب المتعة والجمال من جوارٍ ومواكب فخمة، تحفُّ الحضور الذين يظهر الشاعر أنهم من علية القوم، فتحفهم المواكب، ويتبادر إلى خدمتهم الجواري المنتشرات في المكان انتشار النجوم في السماء، في استعارة أنيقة بين المشهدين. ثم لتكتمل فخامة المجلس يصف الشاعر مستوى الخدمة التي يقدمها في مجلسه، فنجده يقول:

وَحَكَيْتُهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ مَوَاكِبِ
وَكَوَاعِبِ جَمَعَتْ سَنَاءً وَسَنَاءَ
إِنَّ نَشَرْتَ تِلْكَ الدُّرُوعَ حَنَادِسًا
مَلَأَتْ لَنَا هَذِي الْكُؤُوسَ ضِيَاءَ

فهناك من يبادر الضيوف بـ(السقاء ونشر البهجة): (مَلَأَتْ لَنَا هَذِي الْكُؤُوسَ ضِيَاءَ)، فصفاء القمر وبهاؤه ينعكسان على الشراب الذي ملأ الكؤوس صفاء، فغدت الكؤوس مضيئة في أيدي الحضور رغم ظلمة الليل الشديدة مما يشي بنقاء الكؤوس وفخامتها.

وتطالعنا من جانب آخر مشاهد العزف على الآلات الموسيقية، والمبادرة بالغناء من قبل الجواري اللواتي يمتلكن الصوت الشجي الذي يشبه غناء القمّارى على أعذاق النخيل في صباح جميل:

وَإِذَا تَغَنَّتْ هَذِهِ فِي مِزْهَرٍ لَمْ
تَأُلْ تِلْكَ عَلَى التَّرِيكِ غِنَاءَ⁽⁷⁵⁾

فـ"التريُّكُ" -بغير هاء-: العِدْقُ إِذَا نُفِضَ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ سَيِّءٌ⁽⁷⁶⁾، وهو مكان مستقر الطير من النخل، ومن جانب آخر: يحمل معنى آخر يتناسب وحال ما يقع في هذه المجالس من أمور أبقاها الخالق في العباد من الأمل والغفلة حتى ينبسطوا بها إلى الدنيا⁽⁷⁷⁾.

75- ديوان المعتمد بن عباد (ص28)، والحنادس: جمع (حنس): الليل شديد الظلام، ينظر: لسان العرب (6 / 58).

76- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (6 / 767)، ولسان العرب (10/406).

77- ينظر: لسان العرب (10 / 406).

إنّ هذه المجالس التي يتنعم فيها الشاعر الملك مع ندمائه، وتتخلق فيها هذه الصورة المتكاملة لغرض له حضوره في الشعر العربي عامة، وهنا في الشعر الأندلسي ضمن ديوان المعتمد بن عبّاد ما يجعل المتأمل لا يجد غرابة عندما يسمع الشاعر موضع البحث وهو يخاطب صاحبه قائلاً:

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَارَقْتَ عَيْدَ	بَنِي وَنَفْسِي مِنْهُ السَّنَى وَالسَّنَاءَ
نَحْنُ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَهْبُ الرَّا	حَةَ وَالْمَسْمَعُ، الْغِنَى وَالْغِنَاءَ
نَتَّعَاطَى الَّتِي تُنْسِيكَ فِي اللَّذِّ	ةِ وَالرِّقَّةِ، الْهَوَى وَالْهَوَاءَ
فَأْتِهِ تَلْفَ رَاحَةَ وَمُحَيًّا	قَدْ أَعَدَّا لَكَ الْحَيَا وَالْحَيَاءَ ⁽⁷⁸⁾

خاتمة البحث:

أولاً/ نتائج البحث:

- إنّ (الخَمْرِيَّات) غرض شعري موجود في الشعر الأندلسي، ويؤكد ذلك وجوده في ديوان الشاعر المعتمد بن عبّاد.
 - إنّ الشاعر المعتمد بن عبّاد استطاع تحقيق غرض (شعر الخَمْرِيَّات)، وتمثل عناصره الفنية في ديوانه مثله مثل بقية الشعراء الذين طرّقوا هذا الغرض.
 - استطاع الشاعر المعتمد بن عبّاد نقل (شعر الخَمْرِيَّات) بما يتلاءم وخصائص المجتمع الأندلسي الذي عاش فيه بوجهيه: الخاص والعام.
- ثانياً/ توصية البحث:
- العناية بدراسة ديوان المعتمد بن عبّاد، واستكمال دراسة بقية الجوانب الفنية في شعره، وإظهارها بصورة علمية تليق ومكانة هذا الشاعر في الأدب العربي الأندلسي.

ثالثاً/ المصادر والمراجع:

- (1) القرآن الكريم.
- (2) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقاة، بين الأعشى والجاهليين، محمد محمد حسين، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1960م، د.ت.
- (3) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، مطبعة الصاوي، د.ط، 1355هـ - 1936م.
- (4) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- (5) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- (6) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- (7) ديوان ابن الرومي، محمد حسن بسيع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
- (8) ديوان أبي نواس، طبع على نفقة إسكندر أصف، شرح وتوضيح/ محمود أفندي، المطبعة العمومية، مصر، 1898م.
- (9) ديوان الأخطل، صنفه السكري، بروايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، 1996م.
- (10) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1950م.
- (11) ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، دار الجيل، بيروت، د.ت، د.ط.
- (12) ديوان المعتمد بن عباد_ ملك إشبيلية، تحقيق الدكتور/ حامد عبد المجيد، والدكتور/ أحمد أحمد البدوي، ومراجعة الدكتور/ طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط3، 2000م، عن_ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
- (13) ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه/ حمدون طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.
- (14) ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبد الرحمن مصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- (15) ديوان عنتر بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1964م.
- (16) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.

- (17) شعر عبدة بن الطبيب، تحقيق: يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، 1971.
- (18) الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ط. د. ت.
- (19) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ت)، (د. ط).
- (20) الكنز اللغوي في اللسن العربي، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق تحقيق: أوغست هفنز، مكتبة المتنبى، القاهرة (د. ت)، (د. ط).
- (21) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- (22) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، بودويطبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- (23) مجالس الخمر في الشعر الأموي، لجين محمد عدنان بيطار، رسالة جامعية، مقدمة إلى جامعة تشرين لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور/ عبد الكريم يعقوب، للعام 2008م.
- (24) مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.
- (25) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000 م.
- (26) المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996م.
- (27) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.
- (28) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. (د. ت).
- (29) المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- (30) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقى، ط4، 1422هـ- 2001م.
- (31) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الأجزاء 1 - 23، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت.
- (32) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، 1900م.